4343
١٥٥٥
١
٢٥٨
عارى

www.ketab.ir

إشراقةُ أمل

الكتاب الأول سلسلة من المرشدين

٤

إشراقةُ أمل

أحاديث الشهيد الحكيم مع العسكريين العراقيين في إيران

الطبعة الأولى

www.ketab.ir

المؤلف : الحكيم، السيد محمّد باقر، ١٩٣٩ـ٢٠٠٣م.
العنوان و المؤلف : إشراقة أمل: احاديث الشهيد الحكيم مع العسكريين العراقيين / آية الله العظمى الشهيد السيد محمّد باقر الحكيم
الناشر : قم، دار النشر باقيات، ١٤٤٠ق = ٢٠١٩م
الايداع الدولي : ISBN 978 - 600 - 213 - 341 - 0
الموضوع : احاديث ـ خطابات
الموضوع : الحرب الايرانية و العراقية ١٩٨٨ـ١٨٩٠م
التسلسل الرقمي : ١٣٩٧ ٥الف ٨٤ح /٣/ ٥٥ BP
التسلسل الديويي : ٢٩٧/ ٩٩٨
رقم المكتبة الوطنية : ٥٥٢٧٣٧٤

إشراقة أمل
الشهيد آية الله العظمى السيد محمّد باقر الحكيم
▣ الناشر: باقيات
▣ المطبعة: وفا
▣ الطبعة: الاولى ـ ١٤٤٠ هـ. ق
▣ العدد: ١٠٠٠ نسخة
▣ رقم الايداع الدولي: ISBN 978 - 600 - 213 - 341 - 0
«كافة حقوق الطبع محفوظة ومسجلة»
باقيات (للطباعة و النشر)، **قم، صفائيه، قيصرية المهدي، رقم ١١٦**
هاتف: ٣٧٧٤٣٩٠٠ (٠٢٥) ـ جوال: ٠٩١٢ ٢٥٢ ٥٦٢٥
Email: Vafaprint110@gmail.com

www.ketab.ir

www.ketab.ir

المقدمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تتعرض كل دولة في عالمنا لأحداث تتفاوت في شدتها وقساوتها، وكل شعب تعلق في ذاكرته ووجدانه بعض تلك الأحداث، والعراق بلد العتبات المقدسة لم يكن استثناءً من ذلك.

ففي الربع الأخير من القرن المنصرم عصفت ببلاد النهرين أحداث متتالية قاسمها المشترك دمويتها، فعند انقلاب تموز الثاني عام ١٩٧٩م على أحمد حسن البكر الذي قاده (صدام حسين) وتسلَّم بموجبه بشكل رسمي زمام الحكم في العراق افتتح مشواره في إدارة البلد بحدثين لا يقل أحدهما أهمية عن الآخر، وهما نموذجان حيّان للدكتاتورية التي اتصف بها حزب السلطة آنذاك ـ حزب البعث ـ ويكشفان عن الطبيعة الدموية لشخص قدِمَ من المجهول وتخطى حدود الزمن في غفلة منه ليتربع على كرسي الحكم في بغداد في السابع عشر من تموز عام ١٩٧٩م.

إنَّ هذين الحدثين يبقيان متصفين بالدموية مهما تقادم الزمن عليهما ومهما كانت التبريرات التي حاول النظام تقديمها لإقناع الذهنية العراقية بأحقيَّة ما يقوم به، والحدثان هما:

الأول: الإيغال في عمليات القتل بكل أقسامه التي طالت الآلاف من أبناء الشعب العراقي وبكل فئاته، سواء التي تمَّت تصفيتهم في زنزانات التعذيب أم الذين ذابوا في غرف أحواض حامض الكبريتيك المركَّز (التيزاب) أم الذين فارقوا الحياة بسبب

www.ketab.ir

الإهمال المتعمَّد للمعتقل أم الذين تمَّ تعليقهم في حبال المشانق أم الذين أزهق الرصاص أرواحهم في ساحات الإعدام.

إنَّ سياسة العنف التي اتبعها (صدام) وامتاز بها تعني المزيد من سفك الدماء والمزيد من القمع والإرهاب والرعب والمزيد من المطاردة والملاحقة والمزيد من التدمير للشخصية العراقية على كافة المستويات.

الثاني: إشعال نار الحرب مع إيران وتوريط مئات الآلاف من شباب العراق فيها، فالحرب لم تكن حدثاً عابراً مرَّ ويمرُّ على بلد كان إلى حدٍ ما مستقراً؛ لأنَّ الحرب معناها مزيد من القتل ومزيد من التهجير ومزيد من الكوارث التي تلحق بالبلدين المتحاربين.

إنَّ الحرب التي أشعل فتيلها (صدام) في الرابع من أيلول عام ١٩٨٠م حملت في ظاهرها شعارات ترتبط بالسيادة والوطنية والقومية وفي واقعها كان يُراد لها تحقيق غايات أكبر وأهم وأخطر، ولكن ما أن انقضت سنتها الأولى حتى ظهرت نتائجها على خلاف توقعات ساسة العراق، بل وساسة دول المنطقة وحتى الساسة الدوليين، فـ(صدام) رغم اجتياحه الكبير للأراضي الإيرانية من الشمال حتى الجنوب على عمق متفاوت واحتّل فيه مدناً وقرى لم يستطع بهجومه هذا اسقاط النظام في طهران، ولم يستطع حتى تحقيق واحد من أهدافه التي أعلن عنها رسمياً كمبررات للحرب، فلا (قوس الزين) تمكَّن من الاحتفاظ بها ولا (سيف سعد) استطاع إرجاعها ولا شط العرب تغيرت حدوده. بل بقيت اتفاقية عام ١٩٧٥م كما هي دون أيِّ تغيير ودون أيِّ حذف أو إضافة.

www.ketab.ir

والشيء المؤكد الذي تحقق هو الضرر الذي طال مئات الآلاف من شباب العراق بين القتل والجرح والإعاقة والأسر وما تبع ذلك من كوارث اجتماعية واقتصادية لحقت بالعراق.

ومن الملاحظ في الحرب ذات السنوات الثمانية المتتالية والتي استعمل فيها الجيشان صنوف الأسلحة التدميرية ذات المنشأ الشرقي والغربي بروز ظاهرة واضحة وجليَّة في الجانب العراقي، وهي كثرة وقوع أفراد القوات المسلحة العراقية في الأسر بشكل ملفت للنظر منذ بداية الحرب وحتى توقف إطلاق النار بين البلدين، ومما لا شكَّ فيه أنَّ هذه الظاهرة تحمل رسائل مهمة جديرة بالفحص والتحليل؛ لأنَّها على خلاف المعهود من الجيوش في العالم الحديث منه والقديم، فمن المعروف أنَّ المقاتل في الميدان يبقى يقاتل إلى الرمق الأخير ولا يفكِّر بالاستسلام إلا في أوقات وظروف محددة، ولكن ما حدث في هذه الحرب عكس ذلك، فعدد الأسرى العراقيين لدى الجانب الايراني اجتاز المئة ألف مقاتل، وهو كبير جداً بالمقارنة بعدد سكان العراق آنذاك وبعدد أفراد قواته المسلحة.

إنَّ عزوف المقاتل العراقي عن القتال في ميدان الحرب لم يكن جبناً أو خوفاً كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة، فالعراقي معروف بشجاعته والتاريخ يشهد له بالبسالة على مدى العصور والأزمان، فهو رجل الحرب ورجل الميدان، ولكن سلوكه اختلف في هذه الحرب لأسباب عديدة، منها:

الأول: عدم اقتناعه واعتقاده بأصل الحرب، فهو لا يرى المبررات التي أعلنها (صدام) كافية للقتال ولا يراها تستحق إعلان الحرب على البلد الآخر.

www.ketab.ir

الثاني: إنَّ البلد الآخر المجاور (إيران) بلد إسلامي، وهذا ما جعل المقاتل العراقي يتعامل بحساسية مع قتال هؤلاء المسلمين، ولعل هذا ما يفسِّر تركيز إعلام (صدام) على وصف الإيرانيين بالمجوس.

الثالث: إنَّ البلد الآخر (إيران) كان يعيش حالة ثورة شعبية اهتزَّ لها العالم الإسلامي وخصوصاً الشرق الأوسط وبالأخص العراق المجاور لها، فطبيعة المجاورة تفرض حالة من التأثر للجار أكثر من غيره.

الرابع: إنَّ البلد الآخر (إيران) كان يعيش ثورة ذات صبغة دينية يفردها عالم دين، والشعب العراقي ذو سمةٍ متدينة وشعب يصنَّف على الشعوب الملتزمة بالقيم الدينية مهما مال شمالاً أو جنوباً، فالقيم الدينية تبقى هي المتحكِّمة في سلوكه العام لتجذرها فيه.

الخامس: شعور المواطن العراقي بأنَّ سياسة حزب البعث منذ مجيئه للسلطة بانقلاب عسكري عام ١٩٦٨م اتسمت بالطائفية والتهميش والاستفراد، وترسخ هذا الشعور وتأصل بوصول (صدام) سدة الحكم الذي كانت سياسته الداخلية تتصف بدرجات عالية من ذلك، وهذا ما ترك أثراً سلبياً تجاه النظام الحاكم.

السادس: الاصطفاف الدولي والإقليمي غير المبرر وغير المعهود مع شخص (صدام) في حربه، وهذا ما جعل المقاتل يدرك أنَّ أهداف الحرب ليست شط العرب ولا بعض الأراضي الصحراوية، وإنَّما هو إسقاط النظام الذي قام على أنقاض حكم الشاه.

www.ketab.ir

إنَّ هذه العوامل وغيرها خلقت تردداً كبيراً لدى المقاتل العراقي في ميدان القتال وأثَّرت على روحه المعنوية بشكل واضح، وبالتالي كان يترقب أقرب فرصة ليسلِّم نفسه للجيش الآخر حفظاً لنفسه من القتل غير المبرر، وهذا ما جعل عدد المقاتلين العراقيين لدى إيران يتصاعد في كل يوم ويبلغ أعداداً ملفتة للنظر.

أدرك شهيد المحراب المتواجد في طهران، والذي كان يرقب ما يجري في وطنه عن قرب من خلال رصده لإعلام النظام ومتابعته لكل حركاته وقراراته وتعليماته عبر التقارير المعلوماتية التي تصله باستمرار من الداخل العراقي، وتحتفظ مؤسسة تراث الشهيد الحكيم بمجموعة كبيرة جداً من هذه التقارير التي كانت ترقب كل ما يدور في العراق.

أدرك شهيد المحراب الحالة المعنوية التي يتصف بها المقاتل العراقي وتفهَّم بشكل عالٍ جداً مناشئ حالة التردد التي يعيشها العسكري في جبهات القتال حتى تحوَّل هذا التفهّم عنده منذ بدايات الحرب إلى رؤية تردد صداها في دوائر القرار في طهران، وانعكست كذلك على سلوكه قدس سره تجاه أبناء بلده المغلوب على أمرهم، وأيضاً انعكست بصورة إيجابية على المقاتلين الذين فضَّلوا ترك مواقعهم وخنادقهم على مواصلة القتال العبثي وغير المجدي.

إنَّ هذه الرؤية التي تحلى بها الشهيد الحكيم لم يكن من السهل استيعابها والجهر بها في ظروف حرب قاسية جداً كانت تعيشها إيران، فصدام أمطر المدن الإيرانية الآمنة بصواريخه المدمرة وقتل من المدنيين أعداداً كبيرة جداً مما جعل الشارع الإيراني ينقم على

www.ketab.ir

كل شيء اسمه (عراق).

ففي مثل هذه الظروف الصعبة كان الشهيد الحكيم يتحدث بعلو صوته عن رؤيته بضرورة الفصل بين النظام وبين أبناء القوات المسلحة الذين قُهروا وأُكرهوا على حمل السلاح، في مثل هذه الظروف المعقدة وقف شهيد المحراب بقامته يدافع عن رؤيته ويحاول إيصالها بكل الطرق الممكنة الى وجدان وضمير وعقل كل مسلم، في مثل هكذا ظروف شائكة وقف رحمه الله يشرح للملأ المصير الدموي للمقاتل وعائلته إن تخلّف عن الجبهة.

إنَّ هذه الرؤية التي امتلكها الشهيد الحكيم قدس سره والتي تميَّز بها بشكل واضح عن باقي رموز المعارضة العراقية آنذاك ـ أحزاباً وشخصيات ـ قلبت الموازين بصورة كبيرة وواضحة تجاه طريقة تعامل الجانب الإيراني مع الأسير العراقي، فقد قام قدس سره بحركة واسعة جداً على القيادة السياسية والعسكرية الإيرانية بدءاً بالإمام الخميني قدس سره ومروراً بالرئاسات الثلاث ـ رئاسة الجمهورية والبرلمان والقضاء ـ وانتهاءً بالقيادة العسكرية بأركانها الثلاثة ـ الجوية والبحرية والبرية ـ من أجل شرح قناعته التي تتلخص: بأنَّ المقاتل العراقي لم يخرج لميدان القتال رغبة منه وحباً بالقتال وإيماناً بأهداف الحرب، وإنَّما تواجد في الخنادق بالاكراه وتحت تهديد السلاح.

وقد أثمرت حركته الواسعة هذه وجهوده الكبيرة عن التفهُّم الكبير الذي أبدته القيادة السياسية آنذاك وعلى رأسها آية الله السيد علي الخامنئي وسماحة الشيخ الرفسنجاني وباقي القيادات الأخرى، وكان لذلك أثر كبير في زيادة التعامل الإيجابي الحكومي تجاه العراقيين العسكريين والاهتمام بشؤونهم الخاصة.

www.ketab.ir

كما أنَّ أفراد الجيش العراقي المقيمين في معسكرات الأسر الإيرانية تفاعلوا بإيجابية عالية مع هذا الاهتمام، حيث انعكس على سلوكهم وعلى تفكيرهم مما تردد صداه في الخنادق العراقية من الجبهة.

وهذه الرؤية للشهيد الحكيم هي التي تفسِّر لنا الزيارات الكثيرة والمتتالية له للمعسكرات التي يقيم فيها هؤلاء المغلوبون على أمرهم وحرصه الكبير على الحديث معهم وتوجيههم وبيان ما لهم وما عليهم.

وقد يقال في هذا المجال: ما أهمية نشر أحاديث شهيد المحراب بعد أن مرَّ على توقف الحرب أكثر ثلاثة عقود من الزمن؟

ويمكن إبراز أهمية هذه الأحاديث من خلال النقاط التالية:

أولاً: إنَّ أحاديث الشهيد الحكيم وثائق تاريخية مهمة تنفع في توثيق وتحليل ما كان يجري في العراق إبان حرب السنوات الثمان.

ثانياً: إنَّ الشهيد الحكيم كان شاهد عيان على ما يجري في العراق بشكل عام وفي الجبهات بشكل خاص، فأحاديثه شهادات مهمة لحقبة زمنية عصيبة مرَّ بها العراق.

ثالثاً: إنَّ ظاهرة كثرة الأسرى العراقيين يمكن فهمها من خلال ما كان يقوم به السيد الحكيم من زيارات مكثفة وما كان يطرحه في زياراته والتي كانت تذاع في مختلف وسائل الإعلام.

رابعاً: إنَّ أحاديث الشهيد الحكيم تكشف وبشكل واضح جداً كيف كان رحمه الله يتعامل مع أبناء وطنه وكيف كان يدافع عنهم في أصعب الظروف وأحرج الأوقات.

www.ketab.ir

خامساً: إنَّ رؤية الشهيد الحكيم المتقدمة يسهل استيعابها وفهمها من خلال أحاديثه مع أبناء وطنه في معسكراتهم.

سادساً: الرؤية الاستراتيجية والنظرة الثاقبة التي كان يتميز بها الشهيد الحكيم تجاه قضية الأسرى وتجاه مشروعه التغييري، حيث استطاع وبكل كفاءة أن يكشف الحقيقة كاملة لمن كان واقعاً تحت تأثير إعلام النظام الحاكم في العراق، بل استطاع أن يحوّل أعداداً غفيرة من هؤلاء إلى جنود أوفياء لمبادئهم الدينية وقيمهم الأخلاقية.

سابعاً: إنّ رؤية الشهيد الحكيم الواقعية والموضوعية ودفاعه المستميت الناشئ منها عن أبناء وطنه المتواجدين على جبهات القتال جعل القوات المسلحة الإيرانية تقلل من الكثافة النارية وتخفضها إلى الحدود الممكنة في أحيانٍ عديدة.

وانطلاقاً من ذلك بادرت مؤسسة تراث الشهيد الحكيم بجمع هذه الخطب والأحاديث وترتيبها وفق الترتيب الزمني ووضعها بين يدي القرّاء في كتاب.

وتشكر مؤسسة تراث الشهيد الحكيم **الحاج عبد العامري** على بذل جهده في جمع هذه الخطب وترتيبها، كما تشكر المؤسسة سماحة **السيد محمود الحكيم** لمتابعته المتواصلة والدؤوبة للكتاب وإشرافه الكامل عليه.

رحم الله الشهيد الحكيم وأجزل له الأجر والثواب ورفع درجاته في الجنان.

مؤسسة تراث الشهيد الحكيم

www.ketab.ir